

The Expressive Value of The Segmental Phonemes: The Ayahs Describing The Battle of Uhud As A Model

Raweh Hamid Albar

Aisha Saleh Babssal

College of Languages and Translation || University of Jeddah || KSA

Abstract: This study aims to explore the expressive value of the segmental phonemes in the verses describing the Battle of Uhud. These verses discuss some scenes of war and its doctrines, which provides the verses with meanings of strength and intensity. This research attempts to discover the effect of the features of segmental phonemes present on those meanings, and to indicate their connection to the general context, and that is through stating the expressive value of the features of phonemes in expressing meanings. In order to achieve this, two topics were addressed, the first: a description of the concept of strength and weakness of phonemes, the second; the expressive value of the segmental phonemes in the verses, and a descriptive approach was adopted for this study.

Keywords: linguistic phonemes, consonants, features of sounds, strong sound, weak sound, Battle of Uhud.

القيمة التعبيرية للأصوات التركيبية: آيات وصف غزوة أحد نموذجاً

روية حامد البار

عائشة صالح بابصيل

كلية اللغات والترجمة || جامعة جدة || المملكة العربية السعودية

المستخلص: هدف هذا البحث إلى دراسة القيمة التعبيرية للأصوات التركيبية في آيات وصف غزوة أحد. ذلك أن مدونة البحث تتحدث في عمومها عن مشاهد القتال وأحكامه؛ مما أكسبها الكثير من معاني القوة والشدة، لذا أراد البحث الوقوف على أثر بعض الصوامت على تلك المعاني، وبيان ارتباطها بالسياق العام، وذلك من خلال بيان الوظيفة التعبيرية لصفات الصوامت في التعبير عن الدلالات والمعاني. ولأجل ذلك جاء البحث في مطلبين، الأول: عن الأصوات اللغوية بين القوة والضعف، والثاني: القيمة التعبيرية للأصوات التركيبية في آيات وصف غزوة أحد. والمنهج الوصفي هو الأساس المعتمد الذي قام عليه البحث.

الكلمات المفتاحية: الأصوات اللغوية، الصوامت، صفة الصوت، الصوت القوي، الصوت الضعيف، غزوة أحد.

المقدمة.

إن الكلام المنطوق جزء أساسي من أي لغة إنسانية، وقد أدرك الإنسان الكلام المنطوق قبل اختراع الكتابة بزمن طويل، والكلمات في اللغة هي أصوات تتألف بطريقة ما لتشكل المعاني والدلالات، والأصوات هي اللبنة الأساس، والقاسم المشترك بين المستويات اللغوية، لذا أصبحت الدراسات الصوتية العتبة الأولى للتحليل اللغوي، والمبحث الأول من مباحث علم اللغة.

والصوت في علم الأصوات هو: "أثر سمعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزاً أعضاء النطق" (بشر، 2000م، ص119)، أما الصفة فهي "حلية صوتية تصحبه عند نطقه كالجهر أو الهمس أو الشدة أو الرخاوة...، وهي تحدث بمراعاة الناطق لها وتهيئة أعضاء نطقه لإصحابها أداة الحرف." (جبل، 1427هـ، ص55) وتنقسم هذه الصفات إلى: صفات متضادة، وصفات غير متضادة، وكلا القسمين يصنف إلى صفات قوية وأخرى ضعيفة.

والأصوات تنقسم إلى: صوائت وصوامت، وقد اختص البحث بالصوامت، بالنظر إلى صفاتها من حيث القوة والضعف وانعكاس ذلك على تصوير الدلالات، وبيان ارتباطها الوثيق بالمعاني التي جاءت عليها الآيات التي وقع اختيارها مدونة للبحث، وهي آيات وصف غزوة أحد⁽¹⁾، ثاني الغزوات الإسلامية، والتي امتلأت بالمواقف التربوية المتنوعة.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الآتي: ما القيم التعبيرية لصفات الأصوات التركيبية، وكيف تجلّى ذلك في دلالة آيات وصف غزوة أحد؟

أسئلة الدراسة:

1. كيف ساهمت صفات الصوامت من حيث القوة والضعف في إبراز دلالة الآيات؟
2. ما انعكاس القيمة التعبيرية للصوامت على السياق العام للآيات؟
3. ما تأثير القيمة التعبيرية للصوامت على المتلقي سامعاً أو قارئاً؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- 1- بيان تأثير صفات الأصوات على دلالة الآيات، وارتباط ذلك بالمغزى العام للآيات.
- 2- محاولة إبراز أهمية التحليل الصوتي في الكشف عن دلالة الآيات، ومعانيها، بما يؤكد دور الأصوات في فهم السياق العام للنصوص.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال:

- الاستفادة من نتائجه في إيضاح إشارات صوتية ذات معانٍ بيانية، قد يستفيد منها المشتغلون في اللغة عامة، وفي الدراسات القرآنية خاصة.
- والإسهام المتواضع في إثراء المكتبة العربية بدراسة صوتية لآيات تصف أحداثاً مهمة في التاريخ الإسلامي.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي الاستنباطي كونه الأنسب لإتمام الدراسة.

(1) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير، والتي عنوانها الدلالة السياقية في آيات غزوتي بدر وأحد.

حدود البحث:

الآيات التي تحدثت عن وصف غزوة أحد هي موطن الدراسة التطبيقية، وعددها اثنان وعشرون آية، موزعة بين سورتين، الأولى: سورة آل عمران، وتشتمل على إحدى وعشرين آية، جاءت في مجموعات ثلاث على النحو الآتي:

- المجموعة الأولى: مواسة العليّ وعتب الشكور، وهي ست آيات، انحصرت ما بين (139-144).
- المجموعة الثانية: من نشوة النصر إلى حرقه الهزيمة، وهي أربع آيات ابتداءً من الآية (152) وانتهاءً بالآية (155).
- المجموعة الثالثة: مراجعة وتعليل وتبشير، وجاءت في إحدى عشرة آية، من الآية (165) إلى الآية (175).
- والسورة الثانية هي سورة النساء، وردت فيها آية واحدة، ورقمها (88)، وهي تمثل المجموعة الرابعة: الخلاف المستنكر.

إجراءات الدراسة:

- النظر إلى صفات الصوامت في الآيات، من حيث القوة والضعف، بمراعاة أمرين:
الأول: وضع الوترين الصوتيين (الاهتزاز وعدمه)، وبه تقسم الصوامت إلى: الصوامت المهتزة (المجهورة)، والصوامت غير المهتزة (المهموسة)، والصامت الذي لا يوصف باهتزاز أو عدمه (الهمزة). والأمر الثاني: كيفية ممر الهواء عند النطق بالصوامت (غلق ممر النفس أو فتحه)، وتقسم الصوامت بناءً على ذلك إلى: الصوامت المغلقة (الانفجارية)، والصوامت المفتوحة (الاحتكاكية، الجانبية، الأنفية، التكرارية)، والصوامت المركبة (الغلقية-الاحتكاكية/ صوت الجيم). يلي ذلك حصر الصوامت في الآيات وعمل الجداول اللازمة لذلك.
- تقديم قراءة عامة للآيات، واستخلاص المعنى المحوري الذي تدور حوله.
- محاولة الكشف عن تأثير دلالة الصفات على معاني الآيات.
- الوقوف على بعض الأصوات والكلمات في الآيات، لإبراز القيم التعبيرية والبيانية لأصواتها بالمعنى الذي سيقى له.

الدراسات السابقة:

- أثر الصوت في توجيه الدلالة، ساجدة عبد الكريم، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 17، ع 3، 2010م.
 - التحليل الصوتي للنص (بعض قصار السور أنموذجاً)، مهدي عناد أحمد، إشراف د. محمد جواد النوري، جامعة النجاح، كلية الدراسات العليا، 2011م.
 - الدلالة الإيحائية لصفة الصوت في النص القرآني، نجيب علي السوداني، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، العدد 36، 2013م.
 - سورة الطور دراسة صوتية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، سمية محمد الطحان، جامعة الموصل، كلية التربية الأساسية، مج 13، ع 2، 2014م.
 - الأصوات العربية بين القوة والضعف، عبد الكريم محمود علي، مجلة كلية التربية للبنات، العدد الثاني، السنة الأولى، 2015م.
- يتفق البحث مع هذه الدراسات فيما يخص بعض ما ورد في الجانب النظري، ويختلف في جانب التناول كونه تفرد بالتطبيق على آيات وصف غزوة أحد.

هيكل البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة ومبحثين، وخاتمة:

- المقدمة: وتشمل: أسباب اختيار الموضوع، مشكلة البحث وأسئلته، وأهدافه، وأهميته، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، وهيكل البحث.
- المبحث الأول: عن الأصوات اللغوية بين القوة والضعف.
- المبحث الثاني: القيمة التعبيرية للأصوات التركيبية في آيات وصف غزوة أحد.
- الخاتمة: تتضمن النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الأصوات اللغوية بين القوة والضعف:

يحتل علم الأصوات مكانة أساسية بين علوم اللغة، إذ يُعد بوابة العبور الأولى للدراسة اللغوية، والتي تقوم

على مستويات أربعة، هي:

- المستوى الصوتي: وهو اللبنة الأولى في الدرس اللساني، والذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية من حيث صفاتها ومخارجها وخصائصها وكيفية نطقها، وغير ذلك مما يندرج تحت علم الأصوات اللغوية وعلم وظائف الأصوات.
 - المستوى الصرفي: وهو الذي يهتم بكيفية صياغة الأبنية العربية، وأحوال الكلمة المؤلفة من الأصوات المفردة، ويقوم علم الصرف بالدراسة والتحليل لهذا الجانب من اللغة.
 - المستوى النحوي: وهو الذي يهتم بالعلاقة الوظيفية والدلالية التي تربط بين الكلمات أو المفردات داخل التركيب، ويقوم علم النحو بدراسة هذا الجانب والبحث في علاقات بنائه.
 - المستوى الدلالي: ويهتم بالمعنى العام الذي تكونه العناصر السابقة مجتمعة.
- ويتضح مما سبق أن الأصوات الأساس الذي تنطلق منه أي دراسة لغوية، وأنها موضوع علم الأصوات اللغوية الذي عرّفه الدكتور محمد جواد النوري بقوله: "العلم الذي يتناول بالدرس الأصوات الإنسانية في جانبها المادي، وذلك من أجل وصفها، وتفسيرها، وتصنيفها، وكتابتها، معتمداً في ذلك كله على النظريات والمعارف المستمدة من أفرعه الثلاثة، وهي: علم الأصوات النطقي/ المخرجي، وعلم الأصوات الفيزيائي/ الأكوستيكي، وعلم الأصوات السمعي" (1440هـ، ص 35). وتصنّف الأصوات في اللغة بمراعاة وضع الوترين الصوتيين، وطريقة مرور الهواء من الحلق والفم أو الأنف عند النطق بالصوت المعين (بشر، 2000م، ص 149) إلى قسمين:

1- الأصوات الصامتة.

2- الأصوات الصائتة.

والصوامت جمع صامت، هي محور الحديث في هذه الدراسة، وتظهر أهميتها في كونها الهيكل الأساسي في بنية الكلمة وصيغتها، والمادة اللغوية التي يرتبط بها المعنى الأصلي أو العام (علام، 1430هـ، ص 252). ويقصد بها "الأصوات التي يتعرض تيار الهواء الصادر من الرئتين في أثناء إنتاجها إلى قدر كبير من التضيق والتوتر والاحتكاك والغلق في بعض الأحيان" (النوري، 1440هـ، ص 204) وهي التي تشمل جميع الأصوات في لغتنا العربية باستثناء أصوات الحركات الست القصيرة والطويلة.

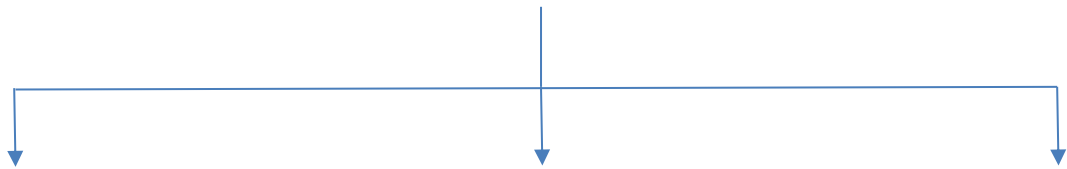
وتجلّت عناية العلماء بالصوامت في تصنيفها إلى أقسام متعددة (علام، 1430هـ، ص 264-267). من خلال

النظر إلى:

- 1- وضع الوترين الصوتيين، أي من ناحية اهتزازهما أو عدمه، وتكون الصوامت على هذا الأساس ثلاثة أنواع:

1. صوامت غير مهتزة، وهي تقابل ما أسماه أسلافنا بالأصوات المهموسة، والمجموعة في قولهم: "فحثه شخص سكت"، ثم أضاف عليها المحدثون الطاء والقاف، فتكون اثنا عشر صوتا مهموسا.
 2. صوامت لا توصف باهتزاز أو عدمه، وإنما "تنشأ نتيجة التقاء الوترين الصوتيين فيغلقان الفتحة بينهما غلقا محكما، ثم ابتعاد كل منهما عن الآخر فجأة، وخروج الهواء في صورة انفجار مسموع" (علام، 1430هـ، ص265)، وفي العربية حسب دراسات المحدثين لا يوجد من هذا الصنف سوى صوت الهمزة الذي عدّه القدماء ضمن الأصوات المجهورة (سيبويه، 1430هـ، ص 4/434).
 3. صوامت مهتزة، مثل الباء والداد والنون...، وهي المقابل لما أسماه القدماء (بالأصوات المجهورة)، وبقية أصوات اللغة العربية مجهورة، وعددها خمسة عشر صوتا.
- 2- كيفية ممر الهواء عند النطق بالصوامت، أي ناحية غلق ممر النفس أو فتحه، وتنقسم الصوامت على هذا الأساس إلى:
 1. صوامت مغلقة، وهي الموصوفة عند أسلافنا بالأصوات الشديدة، وهذه الصوامت حسب الدراسات الحديثة هي: الهمزة والداد والقاف والطاء والباء والكاف والتاء والضاد.
 2. صوامت مفتوحة، ويندرج تحتها:
 - أ- الصوامت الاحتكاكية، ويراد بها الأصوات التي تحدث بدفع الهواء عبر ممر ضيق، فينشأ لذلك صوت الحفيف، وعددها ثلاثة عشر صامتا وهي: الثاء والحاء والخاء والذال والزاي والسين والشين والصاد والطاء والعين والغين والفاء والهاء، وقد سماها القدماء (بالأصوات الرخوة).
 - ب- الصوامت الجانبية، وهي التي يغلق عند حدوثها وسط الممر فيخرج الهواء من جانبيه، واللام العربية من هذا الصنف، لذا وصفها القدماء بصفة الانحراف.
 - ج- الصوامت الترددية أو التكرارية، سميت بذلك لتكرر غلق الممر وفتحته عند حدوثها، ويمثلها صوت الراء.
 - د- الصوامت الأنفية، ويقصد بها الأصوات التي يغلق عند إنتاجها الممر الفموي، ويخرج الهواء من الممر الأنفي، وتضم صوتي الميم والنون، وقد وصفهما القدماء بصفة الغنة.
 - هـ- الصوامت المركبة (الغلقية- الاحتكاكية)، وهي التي "يغلق الممر في المرحلة الأولى من إنتاجها، ثم يفتح أو يفك ببطء، فيخرج الهواء محدثا نوعا من الحفيف المسموع، ويكون الصوت ذا عنصرين: أحدهما غلقي، والثاني احتكاكي" (علام، 1430هـ، ص 267)، ويمثل هذا النوع صوت الجيم.
- وعلى ذلك تكون الصوامت العربية مقسمة على هذا النحو:

الصوامت بمراعاة وضع الوترين الصوتيين

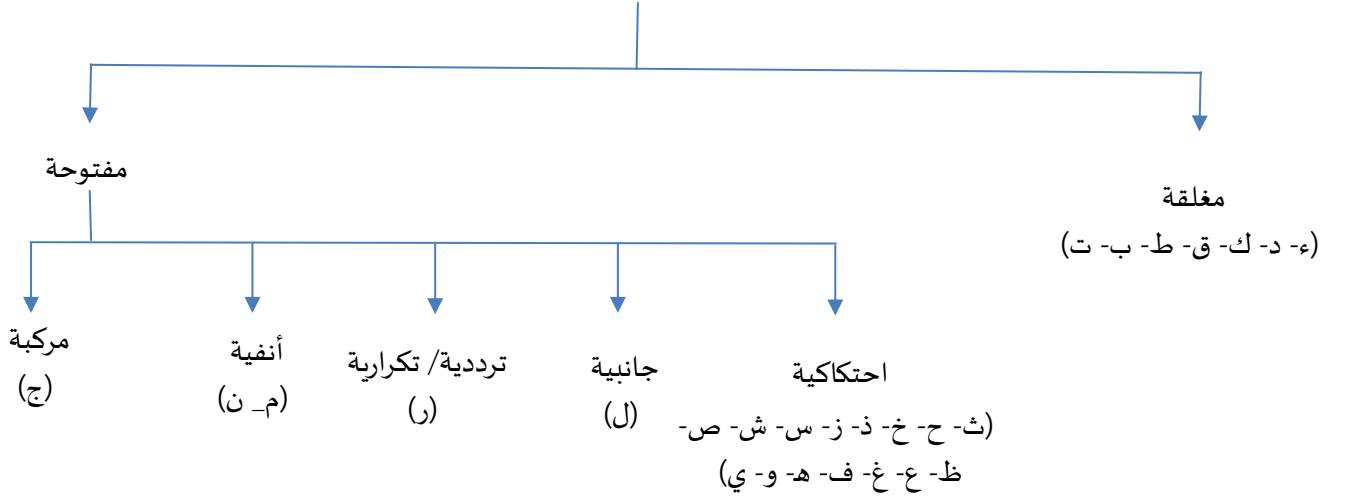


لا هي مهتزة ولا غير مهتزة،
(أ)

غير مهتزة
(س-ك-ت-ف-ح-ث-ه-
ش-خ-ص-ق-ط)

مهتزة
(ب-ج-د-ذ-ر-ز-ض-ظ-
ع-غ-ل-م-ن-و-ي)

الصوامت بمراعاة ممر النفس من حيث الغلق أو الفتح



والخلاف بين أسلافنا والمحدثين مبسوط في كتب الصوتيات بما يُغني في توزيع الأصوات بين الجهر والهمس وبين الشدة والرخاوة والتوسط

وقد ميّز أسلافنا صفات الأصوات على أساس من القوة والضعف،⁽²⁾ يقول مكي بن أبي طالب: "اعلم أن الضعيف في الحرف يكون بالهمس وبالرخاوة... وأن القوة في الحرف تكون بالجهر والشدة والإطباق والتفخيم وبالتكرير والاستعلاء وبالصفير وبالغنة وبالتفشي" (رمضان، 1404هـ، ص 137)، ثم جاءت الدراسات الصوتية الحديثة مؤيدة لما قرره أسلافنا، ومبينة المقصود من القوة والضعف في الأصوات، حيث إن القوة هي الصفة الإيجابية للصوت، والضعف هو الصفة السلبية له (الصيغ، 2007م، ص 170-171)، والمقصود بالإيجابية والسلبية ما يبذل فيهما من جهد أثناء الأداء، فالأصوات القوية تتطلب جهداً أكثر من الأصوات التي تضادها. والصوت القوي هو الذي زادت فيه الصفات القوية كالجهر، والشدة، والإطباق، والاستعلاء، والتفخيم، والصفير، والتكرير، والغنة على الصفات الضعيفة مثل: الهمس، والرخاوة، والترقيق، أما إذا تساوى عدد الصفات القوية مع عدد صفات الضعف فيكون حينئذ قويا متى كان فيه صفة التفخيم، وضعيفا متى كان فيه صفة الترقيق، لأن التفخيم ناتج عن صفتين قويتين هما: الإطباق والاستعلاء، أما الترقيق فناتج عن صفتين ضعيفتين، هما: الانفتاح والاستفال (ديلمي، م 7 ع 36، ص 106-112).

من هنا، يمكن القول بأن للقوة والضعف في الأصوات تأثيراً واضحاً على الدلالات والمعاني، فإذا جاء النص محملاً بمعانٍ تفيض عزة أو غنى أو قدرة؛ كان للأصوات القوية دور في إيصال هذه المعاني، وفي المقابل إذا جاء النص في مقام الحديث عن الخوف، أو الضعف، أو الانكسار فالأصوات الضعيفة هي الأنسب لاستشعار المعنى، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُسْرِكِينَ﴾ (الحجر، 94)، فالأصوات في كلمة (اصدع) ناسبت مقام الأمر في الجهر بالدعوة، والذي يستلزم القوة والشجاعة والثبات، وهو ما عبّرت عنه الأصوات القوية في

(2) مصطلح الضعف لم يذكره الخليل تصريحاً، أما القوة فقد أشار إليها حين قال: "العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه، لأنها أطلق الحروف وأضخمها جرساً"، ينظر: (د.ت، 13/1). وسيبويه كذلك لم يصرح بمصطلحي الضعف والقوة، وإنما أشار إلى أن بعض الأصوات أخف وأضعف من بعض، "وأن المهموس أخف من المجهور"، ينظر: (1430هـ، 4/450). لكن ابن جني صرح بمصطلح القوة في وصفه لبعض الأصوات، مثل قوله: "حتى بدأوا بالشين التي هي الأقوى"، ينظر: (1421هـ، 2/432)

الكلمة، فالصاحف مفخمة صفيرية، والبدال انفجارية مجهورة، والعين مجهورة، وكلها صفات تحكي قوة الموقف وشدته، على خلاف هذا ما جاء في قوله تعالى في وصف يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه، 108)، فالمقام هنا مقام خضوع وانكسار، وهو ما دلّت عليه الصفات الضعيفة في صوتي الهاء والسين في كلمة (همسا)، والمتمثلة في الهمس والاحتكاك والاستفال والترقيق.

المبحث الثاني: القيمة التعبيرية للأصوات التركيبية في آيات وصف غزوة أحد:

لعل من أوائل من تنبّه لمقابلة الألفاظ إلى ما يشكل أصواتها من الأحداث والمعاني ابن جني في كتابه الخصائص، فقد ذكر عن العرب "أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره... فمن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضح أقوى من النضح، قال الله- سبحانه-: ﴿فِيمَا عَيْنَانِ نَضًّا خَتَانِ﴾ (الرحمن، 33) فجعلوا الحاء- لرققتها- للماء الضعيف، والحاء- لغلظها- لما هو أقوى منه" (د.ت، ص 159-160).

ومن هنا يمكن التأكيد على أن للصوت إسهماً في بيان الدلالة، وأن اختيار الكلمة ووضعها في التركيب يتأثر بدلالة أصواتها مع السياق الذي ترد فيه، وبناء على ذلك استند تحليل الآيات على بيان العلاقة بين الأصوات وصفاتها، والدلالة العامة التي وردت فيها، وهو ما سيظهر على النحو التالي:

المجموعة الأولى: مواساة العلي وعتب الشكور:

قال تعالى: وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ ۱۳۹ إِنْ يَمَسُّكُمْ كَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ كَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۚ ۱۴۰ وَلِيُمَجِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكُفْرِينَ ۚ ۱۴۱ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ۚ ۱۴۲ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۚ ۱۴۳ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۚ ۱۴۴

تتحدث الآيات عن مصاب المسلمين يوم أحد، عندما دارت الدائرة عليهم في آخر المعركة، وجرح منهم من جرح، واستشهد منهم من استشهد، وأصيب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في وجهه الشريف، فكان وقع هذه الألام شديداً على الصحابة- رضوان الله عليهم-، خاصة بعد ما شاع فيهم نبأ مقتل النبي- صلى الله عليه وسلم- فاضطربت أركانهم، وارتبكت معنوياتهم (البخاري، كتاب المغازي، 1422هـ، ص 101/5)، فنزلت هذه الآيات لتخلد ذكرى تلك الأحداث العظيمة، وقد اشتملت على عدة معانٍ، من أبرزها:

• معنى التعزية والتسلية والبشارة للمؤمنين، ابتداءً الله- سبحانه وتعالى- به الآيات، وقد ظهر هذا المعنى في موضعين:

- 1- النبي عن الوهن والحزن: لأههما "حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرزء، فيترتب عليهما الاستسلام وترك المقاومة، فالنبي عن الوهن والحزن في الحقيقة نبي عن سببهما وهو الاعتقاد" (عاشور، 1984م، ص 98/4)، فأراد الله- سبحانه وتعالى- مواساة المؤمنين وتخليصهم من الشعور بالخيبة والأسف؛ لما يتركانه من آثار سلبية في النفس، والتعويض عنهما ببث التفاؤل والبشرى في النفوس.
- 2- التذكير بأن المسّ الذي أصابهم في أحد قد أصاب المشركين مثله في بدروفي بداية أحد، حيث نال المسلمون من المشركين قبل مخالفة أمر الرسول- صلى الله عليه وسلم- حيث جرحوا عدداً منهم، وقتلوا صاحب لوائهم،

وعقروا بالنبل خيولهم (أبو السعود، د.ت، ص89/2)، فكما أظفر الله- سبحانه- وتعالى المشركين بعد تلك الإصابات فإنه جدير بأن يظفركم بعد وهنكم وأنتم أولياؤه (البقاعي، 1415هـ، ص160/2).

- معنى الإنكار والتقريع، وقد جاء بعد أن تسلّت نفوس المسلمين بالمبشرات، وزال عنها ألم الهزيمة، وأصبحت مهياً لمراجعة الأخطاء والمحاسبة على الهفوات، وقد ظهر ذلك في الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: ﴿أَفَلَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ آتَقَلَّبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، فمحل الإنكار هنا هو على الرجوع عن القتال والرغبة في الارتداد عن الدين بعدما شاع في المسلمين أثناء المعركة نبأ مقتل النبي صلى الله عليه وسلم، رغم العلم بأنه رسول سيموت مثل ما ماتت الرسل قبله وقد يدعم معنى الإنكار والتعجب في الآية ما يلاحظ من زيادة الياء بعد الهمزة في إن الشرطية في رسم المصحف الشريف، والذي أقرّ النبي صلى الله عليه وسلم كتابته بعد عرضه عليه، وقد ذكر العلماء أن لهذه الزيادة حكمة، قد تكون في أن وفاته صلى الله عليه وسلم "أمر مقطوع به، والشرط لا يكون مقطوعاً به، ولا ما رتب على الشرط هو جواب له، لأن موته لا يلزم منه رجوعه عن الحق" (الزركشي، 1376، ص388)، فلعل زيادة الياء بما فيها من غرابة ومخالفة للقاعدة الإملائية يراد بها لفت القارئ وتنبهه من أجل تأمل المعنى وزيادة تدبره، وهذه الياء رُسمت خطأ لكن لا نصيب لها في الأداء القرآني، فهي ليست صوتاً منطوقاً.
- معنى العتب والملامة، ظهر في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، فالآية بها تعريض ببعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يشهدوا بدرأ، وتمنّوا يوماً كيوم بدر حتى يُشهدوا الله من أنفسهم خيراً، فلما كان يوم أحد فرّ بعضهم، وصبر بعضهم، فعاتب الله سبحانه وتعالى من فرّ منهم بهذه الآية: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ أَمْوَاتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ (الطبري، 1420هـ، ص248/7).

ويمكن بيان صفات الصوامت التي اشتملت عليها الآيات على النحو التالي:

جدول رقم (1)

العدد	صفة الصامت بمراعاة ممر الهواء من حيث الغلق أو الفتح	العدد	صفة الصامت بمراعاة وضع الوترين الصوتيين	المجموعة
86	انفجاري	233	المجهور	الأولى مواساة العليّ وعتب الشكور
94	احتكاكي	95	المهموس	
65	جانبي	20	ما ليس بمجهور أو مهموس	
12	تكراري			
88	أنفي			
3	مركب			
348				مجموع الصوامت

ويلاحظ من الجدول السابق ما يلي:

- غلبة الصوامت المجهورة في الآيات يناسب المحاور التي تتحدث عنها؛ لأن تقديم التسلية للمؤمنين في مصابهم وتبشيرهم بالنصر، ثم الإنكار والعتب على تراجع بعضهم وترددهم عن القتال استدعى التعبير بالصوامت المجهورة؛ لما تستوجبه من إشاعة المعنى وإذاعته للمتلقين.
- غلبة الصوامت ذات الصفات الانفجارية والجانبية والأنفية دلّ على معاني القوة التي تحملها الآيات، والمتمثلة في القدرة على مواساة المؤمنين وتسلّيتهم، وفي توجيه العتب والاستنكار المحمّل بالتأنيب والتعريض.

• الصوامت الواردة في الآيات هي صوامت قوية بالنظر إلى صفاتها، وهذا يظهر في تكرار صوت اللام في الآيات كثيراً (65) مرة، وهو صوت جانبي مجهور منفتح، يتميز بصفة الانحراف والتي تعني "الميل بالحرف عن مخرجه حتى يتصل بمخرج غيره، وهو صفة لازمة لحرفي اللام والراء، وإنما وصفا بالانحراف لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما" (الحصري، 1417، ص 103-104) وربما في تكرار وروده في الآيات إشارة إلى الارتباط بين صفته وبين ما وقع من بعض الصحابة من ميل عن اتباع أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم بلزوم الرماة لمواقعهم، وعدم الفرار من أرض المعركة عندما بدأت أمارات الهزيمة بالظهور.

ومما يمكن الوقوف عنده من أمثلة التناغم الصوتي بين بعض صوامت المفردات ومعانها ما يأتي:

- ما جاء في قوله تعالى: "يَمَسُّكُمْ" / "مَسَّ"، والتي جاءت في سياق المواساة والتسليّة، وأريد بها الإصابة الطفيفة، فالتعبير بالمس المشتملة على السين المضغفة ناسب مقام التعزية والتخفيف عن المصاب؛ لأن السين صوت ضعيف مهموس رخو، يدل في أكثر أحواله على الليونة والسهولة والنقص (الفاخري، 2015م، ص 150)، وهو ما يتناسب مع المعنى ويلقي بظلاله على دلالة الكلمة في سياق الآية.
- ما جاء في قوله تعالى: "لِيَمَّحَصَّ، وَيَمَّحَقَّ"، حيث وردت الحاء وهي صوت ضعيف لهمسه ورخاوته في الفعل (ليمحص) فقوى التضعيف وضعفها ليدل الفعل على شدة البلاء على المؤمنين وتكراره حتى تطهر نفوسهم، أما الكافون فإن استئصالهم وقطعهم إنما يكون مرة واحدة، لذلك خلت الحاء في الفعل (ويمحق) من التشديد، ولعل الصاد المطبقة المستعلية في الفعل الأول، والقاف المغلقة المستعلية في الفعل الثاني قد اشتركتا مع صوت الحاء في إبراز دلالة الفعلين بما يتناسب مع سياق الآية.
- التكرار المتتالي لصوت القاف والموصوف بالقلقلة في قوله تعالى: ﴿أَنقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، حيث أوحى هذه الصفة المتحركة والتي تعد من صفات القوة بمشهد الوقوع المتكرر للإنسان المرتد، ساند ذلك المشهد التكرار الذي يلفت السامع للفعل (انقلب) ماضياً ثم مضارعاً، وكلمة (عقب) مجموعة مرة، ومثناة مرة أخرى وفي هذا تشنيع على مرتكب تلك الكبيرة.

المجموعة الثانية: من نشوة النصر إلى حرقة الهزيمة:

قال تعالى: وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ١٥٢ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ فَأَتَيْتُكُمُ غَمًّا بَغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحَرُّنَا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٥٣ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٥٤ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَتْهُمُ الْغَمَّ إِنَّمَا أَسْرَأْتُهُمْ لِيُشْفِتَنَّهُمْ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٥٥ ﴿١٥٥﴾

إن المتأمل في هذه الآيات ليستشعر ما ضمته بين جوانبها من تصوير حيوي وسريع لأحداث المعركة، وهي في مجملها تحكي أحداثاً حزينة، اكتست بمشاعر الضعف والخوف والألم، وقد جاءت محملة بمعنيين بارزين:

- المعنى الأول: استمرار التسليّة والمواساة للمؤمنين- رضوان الله عليهم- وقد ظهر هذا المعنى في موضعين:

- وعد الله سبحانه للمؤمنين بالنصر، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه: "ما نصر الله- تعالى- نبيه في موطن كما نصره يوم أحد، فأنكروا ذلك فقال: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله تعالى، إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ﴾ (الألوسي، 1425، ص 302/2) فالوعد بالنصر من أكثر مسليات القلب.

- تكرار التصريح بعفو الله- سبحانه وتعالى- عن المؤمنين، وفضله عليهم، ومعدرته لهم في أكثر من موضع، مثل: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾، وقد ذكر الألوسي أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَسْتَأْذِنُكُمْ بِاللَّحْمِ الْمَكْتُومِ﴾ بمثابة التعليل للعفو عن تولى يوم المعركة (الألوسي، 1425، ص 312/2)، وفي تقديم هذا العذر ما يرفع الحرج عن المتولين، ويخفف عنهم حسرة الذنب.

● المعنى الثاني: التوبيخ والتقريع للمنافقين الذين أظهروا كراهيتهم للقتال، والتلطف في عتاب المؤمنين على بعض الأخطاء التي وقعت أثناء المعركة، وأودت بهم إلى الهزيمة بعد أن كان النصر قاب قوسين أو أدنى منهم، وقد وقع هذا المعنى في ثانيا الآيات إما تمهيدا لمعنى العفو الذي سبق ذكره، أو تعقيبا عليه، وذلك في موضعين:

- الشدة في توبيخ المهزيمين الفارزين عن نداء رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْرَسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ﴾، فقد صورت الآيات تصويرا بديعا مشهد فرار المؤمنين إلى أعلى الجبل وإلى جوانب من أنحاء المدينة المنورة، ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- خلفهم ينادي "إليّ عباد الله إليّ عباد الله، أنا رسول الله، من يكرهه الجنة" (الألوسي، 1425، ص 304/2)، فاستحضار مشهد وقوفه عليه السلام خلف الجموع الهاربة، ودعوته لهم بالرجوع يبعث في النفس الكثير من الحرج والندم، وأبلغ ما يشعر بالعتاب.

- الإنكار والتقريع على سؤال بعض المنافقين: "هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ"، وهو "استفهام، ومعناه الجحد، أي ما لنا شيء من الأمر، أي من أمر الخروج وإنما خرجنا كرها" (القرطبي، 1384، ص 129/4)، وقد كُرر هذا التعبير في الآية مرة أخرى، وفي تكراره دليل على قوة إنكار ذلك الاستفهام الجريء منهم، وتأنيتهم على قبح مقولتهم.

ويمكن بيان صفات الصوامت التي اشتملت عليها الآيات على النحو التالي:

جدول رقم (2)

المجموعة	صفة الصامت بمراعاة وضع الوترين الصوتيين	العدد	صفة الصامت بمراعاة ممر الهواء من حيث الغلق أو الفتح	العدد
الثانية من نشوة النصر إلى حرقه الهزيمة	المجهور	385	انفجاري	143
	المهموس	156	احتكاكي	166
	ما ليس بمجهور أو مهموس	30	جانبي	94
			تكراري	18
			أنفي	147
			مركب	3
مجموع الصوامت		571		

من الجدول السابق يجد القارئ ما يلي:

● غلبة الصوامت المجهورة في الآيات يناسب موضوعها العام الذي يحكي أحداث القتال العصيب، ويصف فجعية المؤمنين في مصابهم، مما يقتضي التعبير عن تلك الأحوال الشديدة بصوامت قوية، والتي منها المجهورة.

● غلبة الصوامت القوية ذات الصفات الانفجارية والجانبية والتكرارية والأنفية ناسب معنى مواساة المؤمنين، وتعزيزهم في محنتهم؛ فالصوامت القوية تورث الشعور بالصلابة والشجاعة والتي كان المؤمنون أكثر ما يكونون احتياجا لها ولما يشدّ من أزرهم، ويعيد العزيمة إليهم. كما أنها ناسبت معنى التوبيخ والعتاب الموجه للمنافقين وللمؤمنين، حيث أكدت قوة الأصوات معنى اللوم والعدل، وجعلت وقع ألمه على النفس شديدا.

● كثرة تكرار الصوتين الأنفيين الميم والنون، والأنفية من صفات القوة، فقد أبرز تكرارهما معنى القوة التي أرادت الآيات بثها في نفوس المؤمنين المكسورة، فالميم صوت يدل على الانقطاع والاستئصال، والنون يدل في أكثر أحواله على الظهور (الفاخري، 2015م، ص151)، وهذان المعنيان هما أكثر ما يعيدان الأمل في نفوس المؤمنين المكسورة، لأن استشعار عودة القوة يكون باستئصال شوكة المشركين، واليقين يتجلى بظهور عزة المسلمين بعد كل المحن والشدائد التي مروا بها، وهذا مما يسلي القلوب، ويكشف عنها همومها وأحزانها.

ومن صور التناسب الصوتي في الآيات، والتي أكسبت اللفظ معنى لافتا ما يلي:

- ما جاء في قوله تعالى: "تَحْسُوتُهُمْ"، فالحس هو "القتل الذريع، تحسونهم أي تقتلونهم قتلا كثيرا" (الرازي، 1401هـ، ص386/9)، فصوت السين المهموس والصفيري يساعد في الدلالة على سريان القتل في المشركين وانتشاره، ومجيئه مشددا أكسب المعنى زيادة في القوة والتمكن من الاستئصال، وهو ما وقع للمشركين في أول المعركة قبل مخالفة الرماة أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم.

- ما جاء في قوله تعالى: "أَسْتَزَلُّهُمْ"، فمعنى: زلّ السهم عن الدرع والإنسان عن الصخرة: زلق (ابن منظور، 1414هـ، مادة زلّ)، والزلّة هي الخطيئة والمعصية، وفي إضافة الهمزة والسين والتاء ما يفيد معنى الطلب، أي إنما دعاهم إلى الزلة الشيطان (الطبري، 1420هـ، ص329/7)، فكأن في بناء الفعل (استزل) تصويراً لاستدراج الشيطان للمؤمنين لصرفهم عن القتال، وتكراراً لمحاولاته الإيقاع بهم في المعصية، فيكون المعنى أن في إطاعة بعض المؤمنين لأمر الشيطان بالتولي والفرار عن المعركة ميلاً عن الحق، وانزلاقاً في المعصية، مما يعني الانحراف عن الحق والصواب، وهذا الانحراف قد بدا في صوت اللام التي توصف به، إذ تنحرف اللام إلى طرف اللسان فيخرج الصوت من ناحيتي مستدق اللسان. كما أن الصفيري في صوتي السين والزاي قد دلّ على شيوع ذلك الاستدراج، وانتشار دعوة الشيطان بين الصفوف، وكأن في صفات الصوامت المذكورة تأكيداً على معنى الإعداء الذي حملته الآية نحو بعض الفارين، لأن مقاومة دعوات الفرار المكررة والمنتشرة في ذلك الموقف العصيب ليست بالأمر الهين، ولذا جاء تذييل الآية بعفو الله عنهم.

- ورود الأصوات جميعها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغِيثُ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فقد ضمت جميع الصوامت والصوائت، وقد أشار البقاعي إلى معنى لطيف فيه البشارة بالفوز والتمكين، فقال: "ولما كانوا في هذه الغزوة قد حصل لهم ضرر عظيم... عفا عنهم سبحانه بعد ذلك التأديب، ورحمهم وطيب قلوبهم بهذه الآية بما فيها من التأمين صريحا، وبما فيها من

الإشارة بجمع جميع حروف المعجم فيها تلويحا إلى أن أمرهم لا بد أن يتم كما تمت الحروف في هذه الآية." (البقاعي، 1415هـ، ص2/170)

المجموعة الثالثة: مراجعة وتصحيح وتبشير:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصْبِتْكُمْ مَّصِيبَةً قَدْ أَصْبِتُمْ مِثْلَهَا فَلْتَمَّ أَنْ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٦٥ وَمَا أَصْبِتُكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَلْيَعْلَمْ الْمُؤْمِنِينَ 166 وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ آذِفُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ 167 الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ 168 وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ 169 فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ - وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ 170 ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ 171 الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ 172 الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ 173 فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ مِنْهُمْ شُؤٌّ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ 174 إِنَّمَا ذُكِّرْتُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ 175﴾

تستعرض هذه الآيات التجربة الميرة التي حلت بالمؤمنين يوم أحد، لما ضعفت عزائم بعض الرماة أمام إغراء الغنيمة، وانساقوا خلف نداءات الدنيا متناسين وصايا الرسول- صلى الله عليه وسلم- لهم، فألقت بهم الهزيمة، وتوالت عليهم الأحزان. وقد ابتدأت الآيات باستنكار الدهشة من المصاب الذي غشهم على الرغم من وضوح أسبابه، ثم بينت تلك الأسباب والحكمة الكامنة خلف ذلك المصاب والتي كان من أهمها تمييز المنافقين، وكشف حقيقتهم. وبعد أن فهم المؤمنون العبرة مما حلَّ بهم، وأدركوا موضع الثغرة التي أوقعتهم في الهزيمة، أراد الله- سبحانه وتعالى- إراحة قلوبهم المتلهفة على إخوانهم الذين قضوا نحبتهم في المعركة، وذلك بإيضاح مصير الشهداء الأحرار. ثم ختمت الآيات بمشهد استنهاض الرسول- صلى الله عليه وسلم- في اليوم التالي لمن شهد معه المعترك فقط، وذلك لملاحقة قريش وإفساد نشوتهم بالنصر.

وعند تأمل معاني الآيات يتضح دوراتها حول معنيين بارزين، هما: القوة، والمواساة، وقد ظهرت المعاني

المتعلقة بهما على النحو التالي:

1- ما دلَّ على القوة:

- في التصريح بقدره الله- سبحانه وتعالى- في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فقدره الله من أعظم ما يشعر بالقوة والهيمنة، "ومن جملته النصر عند الموافقة، والخذلان عند المخالفة، وحيث خالفتكم أصابكم سبحانه بما أصابكم... وقيل المراد منها تطيب أنفسهم ومزج مرارة التقرير بحلاوة الوعد أي أنه- سبحانه- قادر على نصرتهم لأنه على كل شيء قدير" (البقاعي، 1415هـ، ص2/329)
- في التهديد والوعيد للمنافقين الذين خذلوا الرسول- صلى الله عليه وسلم- وانخذلوا بثلاث الجيش، ظهر هذا في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾، فقد "تضمنت هذه الجملة التوعد الشديد لهم، إذ المعنى ترتب الجزاء على علمه تعالى بما يكتُمون" (ابن حيان، 1420هـ، ص3/326)، فالتقرير بإحاطة الله- سبحانه- لمكنوناتهم الداخلية فيه دليل على قوته سبحانه، وفيه إنذار لهم بالجزاء على نفاقهم وخيانتهم.

2- ما دلّ على المواسة:

- في التسلية الصريحة لأهالي الشهداء، وذلك بطمأنتهم على مصير إخوانهم القتلى في المعركة، حيث ورد أنهم كانوا "إذا أصابهم نعمة تحسروا على الشهداء، وقالوا: نحن في النعمة وآبأؤنا وأبناؤنا وإخواننا في القبور، فأنزل الله- تعالى- تنفيساً عنهم، وإخباراً عن حال قتلاهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾" (البغوي، 1417هـ، ص2/134).
- في تكرار ذكر الاستبشار، والفضل، والنعمة من الله- سبحانه وتعالى- في قوله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ تكرار "لتأكيد الأول، ولبيان أن الاستبشار ليس لمجرد عدم الخوف والحزن، بل به وبنعمة الله وفضله." (الشوكاني، د.ت، ص1/399) ويمكن بيان صفات الصوامت التي اشتملت عليها الآيات على النحو التالي:

جدول رقم (3)

المجموعة	صفة الصامت بمراعاة وضع الوترين الصوتيين	العدد	صفة الصامت بمراعاة ممر الهواء من حيث الغلق أو الفتح	العدد
الثالثة مراجعة وتصحيح وتبشير	المجهور	438	انفجاري	157
	المهموس	180	احتكاكي	193
	ما ليس بمجهور أو مهموس	40	جانبي	125
			تكراري	15
			أنفي	164
	مركب	4		
مجموع الصوامت		658		

من الجدول السابق يجد القارئ ما يلي:

- غلبة الصوامت المجهورة في الآيات يناسب حالة الاستنكار والتفريع الموجّه للمتسائلين عن سبب النكسة التي أصابتهم، مما استلزم التعبير بصوامت قوية مجهورة تبين لهم الجواب بوضوح وتأنيب يهزّ دواخلهم ويعنفها على غفلتها.
- غلبة الصوامت ذات الصفات الانفجارية والجانبية والأنفية بما تمثله من قوة ناسب معنى التسلية للمؤمنين، وإكرام منزلتهم، ووصف بأسهم وتحملهم للقتال وهم في أشد حالات الألم، مما ألقى الرعب في نفوس المشركين الذين واعدوهم في حمراء الأسد، ثم اضطروا للانسحاب والتراجع إلى مكة بعد ما شهدوا من عزم المؤمنين وإصرارهم ما أخافهم وأرغمهم على التراجع.
- غياب صوت الغين عن الآيات من بين بقية الأصوات على الرغم من طولها وكثرة صوامتها، ولعل في هذا إشارة إلى التناسب الطردي بين ما يدل عليه صوت الغين والحكمة من وراء التمحيص الذي أصاب المؤمنين في أحد، فالغين صوت "يدل على الاستتار والغيبة والخفاء" (الفاخري، 2015م، ص150)، والمغزي الذي أراده الله- سبحانه- من أحد هو كشف المنافقين وفضحهم وتمييزهم عن المؤمنين، فالمقام مقام إظهار وإجلاء، لا مقام خفاء وغموض.
- تكرار كلمة الإصابة بصيغ مختلفة خمس مرات، وفي هذا الجذر اللغوي ما يناسب المعنى الذي سيق له، فمما ورد في معناه: "وأصابه بكذا: فجعه به، وأصابهم الدهر بنفوسهم وأموالهم، جاحهم فيها ففجعهم." (ابن

منظور، 1414هـ، مادة صوب) ولأن مصاب المؤمنين في أحد كان أقرب إلى الفجعية، ناسب ذلك توظيف صوت الصاد وتكراره في الآيات؛ بما يحمله من صفات قوية من الاستعلاء والإطباق والصفير، والتي أوجت بهول الخطب وعظم الانكسار.

- انعكاس معنى القوة في الآيات بتكرار لفظ الجلالة، حيث ورد في ثلاثة عشر موضعاً، ثمانية منها مفخمة اللام، وفي التفخيم زيادة في القوة والتأييد، "ولعظم الأمر كرر الاسم الأعظم كثيراً" (البقاعي، 1415هـ، ص185/2)، وفي هذا إشعار بمعية الله سبحانه وتعالى للمؤمنين أثناء المعركة، وتذكير باطلاعه على خفايا الصدور، مما يزيد من ثبات القلوب ومن تعلقها بالله- سبحانه وتعالى- وتوكلها عليه.

المجموعة الرابعة: الخلاف المستنكر:

قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَكْسَبُهُمْ بِمَا كَسَبُوا أْتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ 88

ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة عدة أقوال، منها ما روي عن عبد الله بن يزيد بن ثابت- رضي الله عنه-: "أن قوما خرجوا مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى أحد، فرجعوا فاختلف فيهم المسلمون، فقالت فرقة نقتلهم، وقالت فرقة لا نقتلهم، فنزلت هذه الآية". (الواحي، 1412هـ، ص168)

والآية في سياقها العام تنهى المؤمنين عن موالاته المنافقين، وتأمراً بالاجتماع على نهج واحد في التبري منهم وتكفيرهم (الرازي، 1401هـ، ص169): لاستحالة هدايتهم بعد الضلالة التي وقعوا فيها.

ومما يتضح بعد النظر في مفهوم الآية أنها تؤكد معنى واحد وهو التفرغ والإنكار على المخاطبين لاختلافهم في شأن المنافقين، وقد برز هذا المعنى في ثلاثة مواضع على الصورة التالية:

- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾، فقد حمل الاستفهام معنى الإنكار والتوبيخ على أمرين، الأول: الانقسام في شأن المنافقين (ابن عاشور، 1984م، ص149/5)، والأصل اتحاد المؤمنين واجتماعهم على هدف واحد، بدليل التعبير بلفظ فئة الدال على الجماعة التي يرجع وفيء بعضهم إلى بعض. (الشعراوي، 1991م، ص369) الثاني: التردد في أمر المنافقين رغم صريح كفرهم.
- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾، فيه توبيخ لمن قال بإيمان المنافقين، وفي التعبير عن المنافقين بالاسم الموصول تشديد للإنكار وتأكيد لاستحالة الهداية. (الألوسي، 1425هـ، ص104/3)
- في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ تأكيد على استحالة هدايتهم، بدليل التفات الخطاب في الآية من خطاب الجمع إلى خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يكون أبلغ في تأكيد المعنى. والآية بما تحتويه من دلالة الإنكار والتوبيخ في الاستفهام، والتأكيد على نفي سبيل الهداية عن المنافقين، أشعرت بالحدة والصرامة في أسلوب المخاطبة، ويمكن تلمس هذا المعنى من خلال النظر في جدول صفات الصوامت:

جدول رقم (4)

المجموعة	صفة الصامت بمراعاة وضع الوترين الصوتيين	العدد	صفة الصامت بمراعاة ممر الهواء من حيث الغلق أو الفتح	العدد
الرابعة	المجهور	47	انفجاري	20
	المهموس	22	احتكاكي	18
	ما ليس بمجهور أو مهموس	5	جانبي	18

العدد	صفة الصامت بمراعاة ممر الهواء من حيث الغلق أو الفتح	العدد	صفة الصامت بمراعاة وضع الوترين الصوتيين	المجموعة
2	تكراري			الخلاف المستنكر
15	أنفي			
1	مركب			
74				مجموع الصوامت

من الجدول السابق يلاحظ القارئ ما يلي:

- غلبة الصوامت المجهورة في الآية ناسب معنى التوبيخ والإنكار على انقسام المؤمنين في شأن المنافقين، ورغبة بعضهم في موالاتهم رغم وضوح موقفهم المعادي للإسلام وأهله.
- غلبة الصوامت ذات الصفات الانفجارية والجانبية والأنفية أشعر بقوة أسلوب الخطاب الموجه للمؤمنين، وهو ما تمثل في أسلوب الاستفهام والإنكار والتأكيد بنفي الهداية عن المنافقين.
- التناسب الصوتي في بعض المفردات بين صوامتها ومعانها، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾، فالإركاس في اللغة هو الرد والرجع (ابن حيان، 1420هـ، ص 6/4)، وقد ورد في وصف حال المنافقين الذين انقلبوا عن طريق الحق والهداية، وبالنظر في صفات صوامت الكلمة يتبين مدى توظيفها بما يخدم دلالتها، فصوت الراء "يدل على التكرار وديمومة الحدث في أكثر أحواله" (الفاخري، 2015م، ص 150)، وهو ما يوحي بتكرار خذلان المنافقين للمؤمنين، وارتدادهم عن الدين، والكاف صوت "يدل على التمكن في الشيء في أغلب أحواله" (الفاخري، 2015م، ص 151)، وهذا يناسب تمكّن النفاق في قلوب المنافقين، وفي هذا إشارة إلى استحالة هدايتهم وإيمانهم. كما أن مخرج هذه الأصوات: الراء والكاف والسين قد ساهم في استشعار مشهد الرد والرجع، فالراء صوت لثوي، والكاف صوت طبقي، والسين صوت أسناني لثوي، فكان نطق الكلمة شكّل على مدرج المخارج ما يشبه الدائرة، فأوحى ذلك بتكرار الرجوع والانقلاب المتأصل في نفوس المنافقين، فاستحقوا عليه الإبعاد والإضلال.

الخاتمة:

وبعد، فقد كان هذا تطوفاً ماتعاً في رحاب الآيات الواصفة لبؤرة الصراع في غزوة أحد، بُدء فيه بذكر تقديم يسير عن الأصوات وتصنيفها، ومقصود القوة والضعف فيها، ثم عُرج على الآيات التي تركزت معانها في مجموعاتها الأربع حول عدة أمور، من أبرزها: تقديم المواساة والتسلية للمؤمنين على ما نالهم من بلاء وشدة وحزن أثناء القتال، والتوبيخ والإنكار على المنافقين المنخذلين عن صفوف المؤمنين، والمتخاذلين عن نصرتهم، وقد كان لهذين المعنيين وما تفرّع منهما من معانٍ ارتباط وثيق مع دلالة الصوامت في الآيات، وإبرازاً لانسجام بعض ألفاظها مع السياق الواردة فيه، وهو ما خلص إليه البحث في النتائج التالية:

- دوران معاني آيات وصف غزوة أحد حول إثبات القوة والقدرة لله - سبحانه وتعالى - وعلى كمال الهيمنة والنفوذ له، وهو ما يتفق مع غرضها الذي سيق لطمأنة المؤمنين وتثبيت معنوياتهم أثناء القتال، وإشعارهم بالفضل والمنة على ما نالوه من نصر وكرامات، وبث الرعب في قلوب أعدائهم وتعظيم أمر المؤمنين في أعينهم.
- مجيء الصوامت في الآيات منسجمة ومعبرة عن المعاني التي تحملها، فعكست صفاتها القيم التعبيرية المتنوعة، والدلالات المتعددة.

- غلبة الصوامت المجهورة على الصوامت المهموسة بما يدل على ما أرادت الآيات إشاعته بين المتلقين، وهو إعلان التأييد والمساندة للمؤمنين، أو إيضاح حكم من أحكام القتال، أو الإخبار والتقرير عن أمر ما، أو فضح المنافقين وكشف أكاذيبهم، أو غيرها من الأغراض المستلزمة للإيضاح وقوة الإسماع.
- كثرة الصوامت ذات الصفات القوية المتمثلة في الانفجارية والجانبية والأنفية بما يبين ما أوحى به الآيات من القدرة والاستطاعة في دعم المؤمنين وتثبيتهم، أو الحدة في التنديد والتأنيب على ما وقع منهم من هفوات، أو الشدة والصرامة في مخاطبة المشركين والمنافقين وتهديدهم.
- تأكيد الدراسة ما ذكر من آراء في دراسات سابقة (السودي، 2013، ع36، ص183) من أن تناسب الأصوات وصفاتها مع المعاني من الأسرار القرآنية التي تدرك بالتذوق والإحساس أكثر مما تدرك بالبحث والتحليل الموضوعي.

التوصيات والمقترحات.

استنادا لنتائج الدراسة توصي الباحثان وتقترحان الآتي:

- ¹ التأكيد على أن الميدان فيه متسع لدراسات وبحوث تهدف إلى استقراء يوضح نسبة شيوع كل صفة من صفات الأصوات في الكلام العربي، حتى يُحكم على دلالات النصوص، من خلال المقارنة بين تكرار الصفة في النص المدروس وبين نسبة استخدامها في الكلام⁽³⁾

قائمة المراجع

- ابن جني عثمان أبو الفتح: 1421هـ سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية. ط1، بيروت.
- ابن جني عثمان أبو الفتح: د.ت، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، مصر.
- ابن حيان محمد بن يوسف، 1420هـ، البحر المحيط في التفسير، تج: صدقي محمد جميل، دار الفكر، د.ط، بيروت.
- ابن عاشور محمد الطاهر، 1984م، التحرير والتنوير، الدار التونسية، د.ط، تونس.
- ابن منظور محمد جلال الدين بن مكرم، 1414هـ، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت.
- الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله، 1425هـ، روح المعاني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
- أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م، ط5، القاهرة.
- البخاري محمد بن إسماعيل، 1422هـ، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1.
- بشر كمال، 2000م، علم الأصوات، دار غريب، د.ط، القاهرة.
- البغوي الحسين بن مسعود، 1417هـ، معالم التنزيل، تحقيق محمد النمر وآخرون، دار طبية للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، المدينة المنورة.
- البقاعي إبراهيم بن عمر، 1415هـ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت.
- جبل محمد، 1427هـ، المختصر في أصوات اللغة العربية، مكتبة الآداب، ط4، القاهرة.

(3) ذكر الدكتور إبراهيم أنيس أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخمس أو عشرين في المائة منه، في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة، (1975، ص21). لكن مازالت التوصية قائمة على استقراء بقية الصفات.

- الحصري محمود خليل، 1417هـ، أحكام قراءة القرآن الكريم، المكتبة المكية، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية، مكة المكرمة.
- ديلي لخضر، التفسير الفيزيائي لصفات القوة في أصوات العربية، مجلة الممارسات اللغوية، الجزائر، المجلد 7، العدد 36، 2016م.
- الرازي محمد بن عمر بن الحسين (فخر الدين)، 1401هـ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، بيروت.
- الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر، 1376هـ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، طبعة الأولى، بيروت.
- السويدي نجيب، الدلالة اللاحائية لصفة الصوت في النص القرآني، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، مارس، ع36، 2013م.
- سيويه عمرو بن عثمان بن قنبر، 1430هـ، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة.
- الشعراوي محمد، 1991م، الخواطر، أخبار اليوم، دط، مصر.
- الشوكاني محمد بن علي، د.ت، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت.
- الصبغ عبد العزيز، 2007م، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، ط2، بيروت.
- الطبري محمد بن جرير، 1420هـ، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد شاكر مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت.
- غلام عبد العزيز، ربيع عبد الله، 1430هـ، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، الرياض.
- علي عبد الكريم محمود، الأصوات العربية بين القوة والضعف، مجلة كلية التربية للبنات، العدد الثاني، السنة الأولى، العراق، 2015م.
- العمادي محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود، د.ت، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، دط، بيروت.
- الفاخري صالح سليم، 2015م، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط1، الإسكندرية.
- الفراهيدي الخليل بن أحمد، د.ت، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، لبنان.
- القرطبي محمد بن أحمد، 1384م، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة.
- القيسي مكي بن أبي طالب، 1404هـ، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، بيروت.
- النوري محمد جواد، 1440هـ، من لسانيات اللغة العربية علم الأصوات، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت.
- الواحدي علي بن أحمد، 1412هـ، أسباب نزول القرآن، تحقيق عصام الحميدان، دار الإصلاح، ط2، الدمام.